الأهرام

المصدر :

التاريخ :

بناء على التجربة المصرية بعد كامب ديفيد

بأي لغة سيتحدث الاعلام العربي بعد «غزة ـ اريحا»؟

عثمان الحلاق: الرقابة الاسرائيلية انتهت واللغة الاعلامية لن تتغير بسهولة
عادل حمودة: المفردات الجديدة .. فلسطين ليست محتلة واسرائيل ليست عدواً

كيف سيتفاعلون مع اللغة الجديدة؟

في البدء كانت الكلمة، ومجد وعها يشكل اللغة، واللغة تسير المجتمع والسياسة.

بعد ١٣ سبتمبر (ايلول) ١٩٩٣ لا بد للغة الفلسطينية خاصة والعربية عامة ان تتغير، ولوسائل نشرها وبثها اي «الاعلام» ان يبدل جلده وتوجهاته ليكون السلام سلاماً ويصبح التطبيع فعلاً قائماً ولمصر تجربة في هذا المضمار، فكيف ستخوض الصحافة والصحافيون عملية استبدال اللغة؟ وما هي الصعوبات التي سيواجهونها وكيف؟

وماذا تقدم التجربة المصرية؟

لم يكن احد يتصور قبل ثلاثة اسابيع ان تظهر الصحافة الفلسطينية في القدس، والعلم الفلسطيني بألوانه الأربعة على صدر صفحاتها الاولى، كذلك دعوات من حركة فتح لعقد مؤتمر جماهيري تأييدا لاتفاق غزة ـ أريحا، او ان تظهر على صفحاتها تهنئة من شخصيات ونقابات ومجالس محلية للرئيس الفلسطيني على انجاز الاتفاق مع اسرائيل.

فالرقابة الاسرائيلية كانت تحظر اياً من هذه المواد الاعلامية، وكانت الصحيفة التي لا تلتزم بذلك تتعرض للاغلاق المؤقت او الدائم ومجرد حيازة علم فلسطيني كان يؤدي الى السجن ستة اشهر.

ويبدو الامر الان لمتتبع للصحافة المحلية، وكأنها في فترة انتقال بين سلطتين: الاولى

www.ethraadl.com

إثراء المعارف الرقمية

سلطة الاحتلال بقوانينها الصارمة والاخرى حربة وطنية في بدايتها وما يرافق ذلك من حربة مطلقة بنشر اي مادة اعلامية.

كان نشر صور المظاهرات او الاعلام يعتبر تحريضا من جانب السلطات، واليوم تغطي صور مظاهرات التأييد بل وحتى المعارضة صفحات الجرائد، حيث يظهر مئات الشبان بلباس الكشافة وهم يحملون الاعلام ويرتدون الكوفية السمراء.

كانت الرقابة الاسرائيلية تحذف المواد الاخبارية التي تتناول انشطة وتحركات قادة منظمة التحرير الفلسطينية، واليوم تشهد الصحافة نقل وقائع اجتماعات المجلس الثوري لحركة فتح واللجنة المركزية لهذه الحركة واللجنة التنفيذية لمنظمة التحرير الفلسطينية دون تحفظ.

ولعل التغير الرئيسي انعكس على الصحفيين انفسهم. فقد مكنهم الوضع الجديد من تحقيق المصداقية للمرة الاولى منذ عام ١٩٦٧. ففي السابق كان الصحفي يعد التقرير والاخبار لينال منها مقص الرقيب فتظهر مبتورة او مشوهة وقد لا تظهر بتاتا، اما الان فانه يكتب كل ما يريد وتنشر المادة بكاملها. وقد تجرأت الصحف واخذت تنشر بعض المقالات والاخبار دون ارسالها للرقابة الاسرائيلية.

من جهتها انقلبت الصحافة الاسرائيلية تجاه منظمة التحرير الفلسطينية. فلم تعد تلحق وصف التخريب بحركة فتح او منظمة التحرير، وبدأت بنشر صور ومقابلات واسعة مع الرئيس الفلسطيني واعضاء اللجنة التنفيذية وغيرهم من القادة الفلسطينيين. واخذت تشيد بحنكة ياسر عرفات ومكانته بينما كانت تصفه قبل اسابيع بالبشع والارهابي والملطخ اليدين بدماء اليهود الابرياء. لا يكاد يمر يوم دون مقابلة لعرفات في الاذاعة الاسرائيلية او التلفزيون او الصحف مع تغطية كاملة ومباشرة من تونس للقاءات والاجتماعات الفلسطينية القيادية، كما ينشر الاعلام الاسرائيلي مقابلات مع اعضاء المنظمة في الاراضي المحتلة، وهم سجناء سابقون، ومتهمون بالتحريض وتنظيم المقاومة ضد اسرائيل!

الفترة الانتقالية

وفي سعيها لطمس الثقافة الفلسطينية لجأت الحكومات الاسرائيلية المتعاقبة الى خزانة الانتداب البريطاني في فلسطين وطبقت على الاراضي المحتلة قوانين الطوارئ لعام ١٩٤٥، التي اعطت الحكام العسكريين الحرية المطلقة في قمع المواطنين. وطبق هذا الامر على الاعلام حيث اخضع اصدار تراخيص الصحف والمجلات والمطبوعات لارادة السلطة الاسرائيلية كما اخضع لها توزيع المطبوعات.

واتبعت قوانين الطوارئ الانتدابية بأوامر عسكرية لاكمال الثغرات.

نادرا ما سمحت السلطات الاسرائيلية باجازة مادة صحفية جيدة ومعبرة عن مواقف اهل الضفة وغزة. واضطرت الصحافة الى ايراد الاخبار الساخنة نقلا عن الاعلام الاسرائيلي (صحف وراديو وتلفزيون).

تغيرت الصورة قليلا بعد مؤتمر مدريد وخفت الرقابة على المادة السياسية. ودفع هذا التغير بمجموعات عدة من الفلسطينيين الى البحث عن امكانية فتح محطات اذاعة وتلفزة في الضفة والقطاع. الا ان المبادرات فشلت لانها مرتبطة بترخيص صريح من الحكومة الاسرائيلية.

www.ethraadl.com
إثراء المعارف الرقمية

الأهرام

غزة ـ اريحا

غير ان اتفاق «غزة ـ اريحا» فتح المجال مجددا امام مثل هذه الامكانية لكن الامر بات مرتبطا الان بنهج منظمة التحرير الفلسطينية التي قد تحمل معها كادرها الاعلامي لدى عودتها الى غزة واريحا مع بداية العام المقبل.

كان للاعلام الفلسطيني في الاراضي المحتلة وجهان: الصحف والمجلات من جهة والمكاتب الصحفية من جهة اخرى. والازمة المالية التي واجهتها المنظمة ادت الى اقفال معظم المكاتب الصحفية وتخفيض ميزانيات ما تبقى منها في حين اضطرت «البيادر» وعمرها ثمانية عشر عاما ومجلة «الاسبوع الجديد» وعمرها ثمانية اعوام للتوقف عن الصدور كما اوقفت صحيفتا «الفجر» (صدرت منذ عام ١٩٧٢) و«الشعب» (صدرت منذ عام ١٩٧٠). وهذه المطبوعات الاربع، كانت تمول من منظمة التحرير الفلسطينية وتعبر عن مواقفها. وكانت سلطات الاحتلال قد اغلقت عدة مكاتب ومطبوعات فلسطينية، لدواع سياسية وحجج امنية.

بعد الاعتراف

والان بعد اتفاق الاعتراف المتبادل واعلان المبادئ كيف سيكون الحال؟

نشير الى فترتين ضمن المرحلة الانتقالية: الاولى بدأت منذ ١٣ سبتمبر (ايلول) وتنتهي في العاشر من يوليو (تموز) ١٩٩٤ حيث تبدأ سلطة المجلس التشريعي الفلسطيني. والثانية تبدأ في ذلك التاريخ وتنتهي مع بداية المرحلة النهائية، اي بعد خمسة اعوام.

يؤكد عثمان الحلاق ـ المحرر المسؤول وصاحب الامتياز في جريدة «النهار» اليومية ـ ان الرقابة الاسرائيلية قد انتهت تقريبا مع بدء التاكيد على وجود اتفاق فلسطيني ـ اسرائيلي.

ويضيف ان المرحلة القادمة ـ ربما سنة ـ لن تغير في اللغة الاعلامية والخطاب السياسي ـ الصحفي الفلسطيني، حيث يظل الاحتلال هو الاحتلال حتى يزول تماما ويبقى القمع والقتل والنسف والعنصرية كما هي حتى تزول.

ويتابع الحلاق: لم يطالب احد الصحافة الفلسطينية المحلية بتغيير لغتها حتى الان. اما المرحلة التي تبدأ فيها السلطة الفلسطينية ممارسة مهامها فلا تزال قراراتها مجهولة. ويفترض الحلاق انها ستتحلى بالروح الديموقراطية.

رئيس تحرير صحيفة «الفجر» المغلقة، حنا سنيورة قال: ان التطورات المتلاحقة ستؤدي بالتاكيد الى عودة صدور الصحف والمجلات المغلقة حيث ان القيادة الفلسطينية التي تفتقر الى محطات بث اذاعي وتلفزيوني تحتاج الى صوت اعلامي ينقل موقفها وتوجيهاتها الى الناس.

ويشير سنيورة، الى ان مثل هذا الامر بات قريبا جدا، مذكرا بان اغلاق المطبوعات والمكاتب خلق مشكلة مادية وسياسية لـ ٢٠٠ كادر صحفي وسياسي.

وقال سنيورة ان الصحافة الفلسطينية لن تلتزم بعد الان بالقوانين غير الوطنية، وهذا موقف مبدئي. ولعل تعامل الحكومة الاسرائيلية مع الصحافة سيكون المقياس الاول لجديتها. وتوقع سنيورة تغير اللهجة الاعلامية مع تغير الاجواء السياسية وتطبيق الاتفاقات المعقودة خطوة خطوة.

وبين «الخصم»، و«الصديق»، و«العدو» و«الدولة»، مساحة كبيرة من الحركة والمناورة لعب خلالها الاعلام المصري دورا لا يستهان به في اقناع المصريين بكل قرار حكومي، وتاييد مصري لسياسة التطبيع، فهل نجح؟

«عادل حمودة» مدير تحرير مجلة «روز اليوسف» يرى ان القوة الضاربة للاعلام

www.ethraadl.com
إثراء المعارف الرقمية

الأهرام

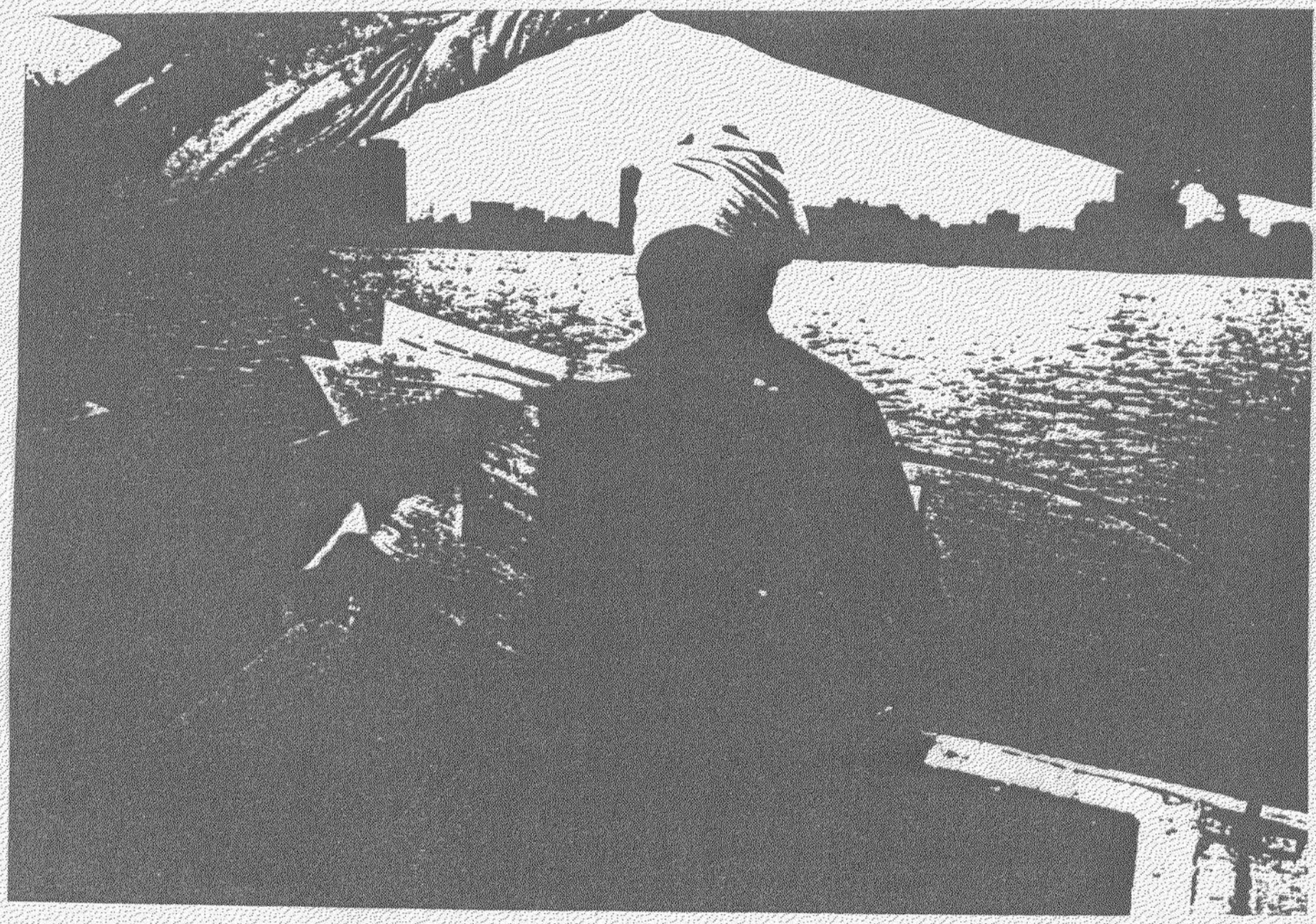

لغة الاعلام المصري تغيرت بعد كامب ديفيد

المصري في يد الدولة ومن ثم فان الحكومة هي التي تحدد للاعلام اعداءه وأصدقاءه. فعندما كانت اسرائيل خصما للدولة كانت في الاعلام «العدو» الاسرائيلي والعكس صحيح.

يقول عادل حمودة ـ ان حالة الاعلام المصري فريدة وغريبة ولها خصوصيتها، فمثلا جهاز الاعلام المؤثر «الاذاعة والتلفزيون» يتبع الدولة مثله مثل الجيش والبوليس. حتى ما تسمح به الدولة من حرية صحافة ـ وهو موجود فعلا ـ جاء نتيجة ان تأثير الاذاعة والتلفزيون اقوى كثيرا من تأثير الصحافة. يعني ما يثيره موضوع معارض على الورق في أسبوع يزيله برنامج ملون على الشاشة في خمس دقائق.

ويستطرد حمودة قائلاً: حتى هذه اللحظة ظل الاعلام المصري ـ بكل افراد عائلته ـ متحفظا تماما مع قضية اسرائيل، يمسك العصا من منتصفها، فمثلا يشير الى أطفال الحجارة، والانتفاضة، لكنه لا يغالي في الاهتمام وكأنه ليس طرفا في القضية. فهو يكتفي بمجرد الرصد ويسقط الرأي، والتعليق والبرامج الخاصة التي يمكن ان تزيد القضية اشتعالا، لا لشيء الا لانه يعكس وجهة نظر نظامه وحكومته التي تمد جسورا من العلاقات مع اسرائيل.

الأهم من ذلك ان الاعلام المصري استخدم في ادارة عمليات التفاوض مع اسرائيل خلال الفترة الانتقالية من عام ١٩٧٧ ـ ١٩٧٩، وعكس سير عمليات التفاوض لحظة بعد اخرى، وأظهر تأرجح عملية التفاوض بين التعثر والانفراج.

www.ethraadl.com
إثراء المعارف الرقمية

الأهرام

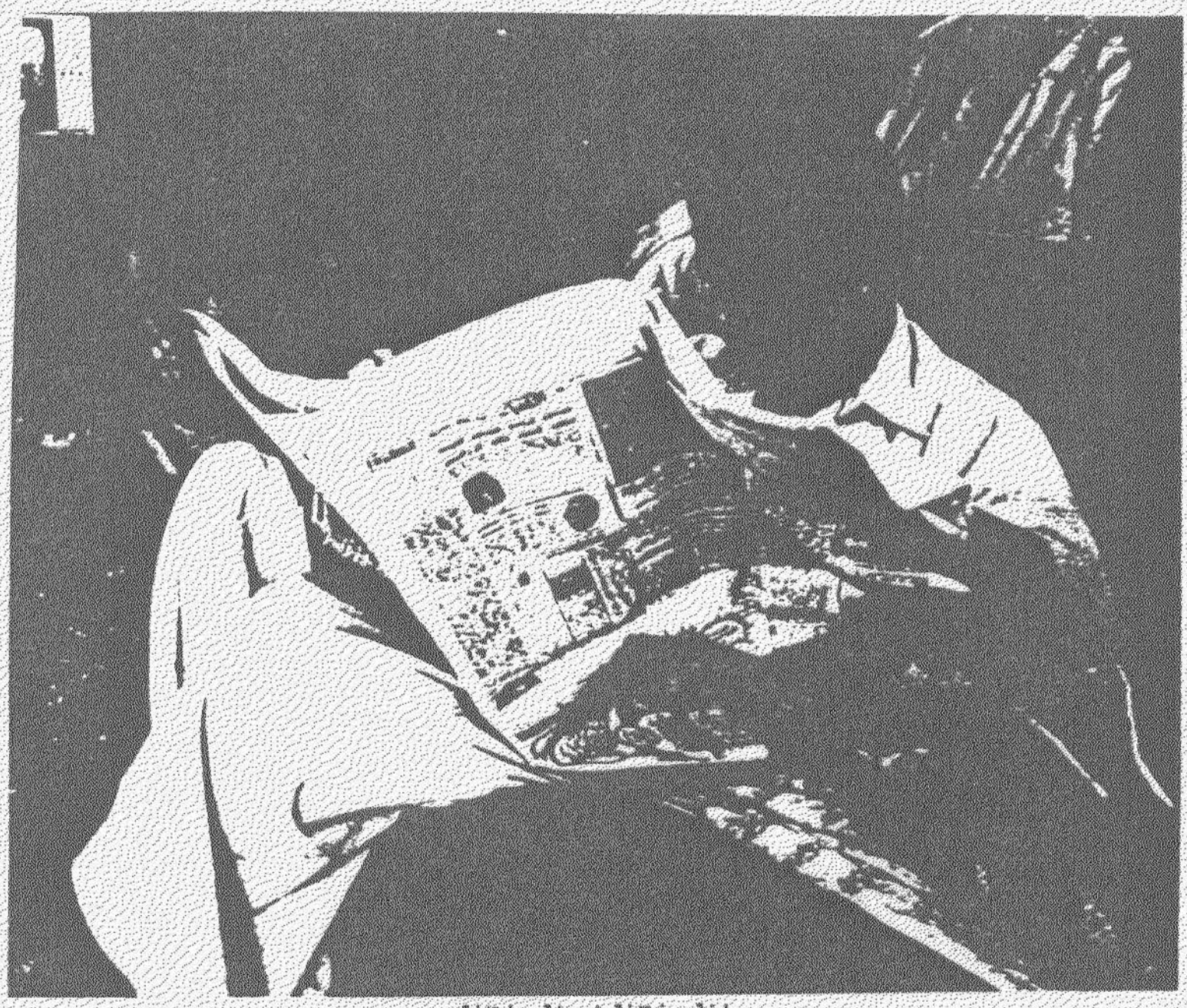

لغة مختلفة لمرحلة مختلفة

حياد مؤقت

ومنذ تولى الرئيس حسني مبارك - يقول عادل حمودة - عكس الاعلام المصري حالة الفتور والجمود أو الرقص على السلالم بيننا وبين اسرائيل التي اصبحت دولة تربطنا بها علاقات ديبلوماسية. وكان التطبيع في ذلك الوقت يتم في سرية تامة وهو تطبيع حكومي - على مستوى وزارة الزراعة، وعلى مستوى العلاقات الديبلوماسية - وهو تطبيع كان يخجل الحكومة وكثيرا ما كانت تستغله صحف المعارضة. الاعلام المصري ظل يتعامل بفتور شديد مع اسرائيل طوال فترة الرئيس حسني مبارك، فهو اعلام لا يتجاهل ولا يهتم، اعلام مصاب بحالة حياد مؤقت الى ان جاء اتفاق «غزة - أريحا»، الذي

www.ethraadl.com
إثراء المعارف الرقمية

الأهرام

سيرفع الحرج عن الاعلام المصري بشكل تدريجي. وسنرى الاعلام المصري متحمسا لهذا الاتفاق مباركا له وسيبدو ذلك من خلال تركيزه على عدة نقاط. أهمها:

● تأييد الاتفاق والتركيز على ايجابياته وعلى انه الحل الوحيد الذي لا بديل منه وانه مكسب كبير للقضية الفلسطينية.

● تجاهل الاعلام ـ الرسمي ـ لأي مظاهر معارضة لهذا الاتفاق أو لأي جهة أو نشاط جماهيري يعبر عن عداوته لاسرائيل.

● تغير كامل في مفردات التعامل مع القضية الفلسطينية. فمثلا ستختفي عبارات مثل «الضفة الغربية الفلسطينية» و«فلسطين المحتلة». وسنجد بديلا منها عبارات مثل «الارض المحتلة». و«الضفة الغربية». وكلها تعبيرات تكرس واقعا سياسيا.

● اظهار بعد نظر الموقف المصري من قضية الصراع العربي الاسرائيلي. وان السادات سبق عصره.

صدمات كهربائية

محمد فائق وزير الاعلام المصري خلال هزيمة يونيو (حزيران) ١٩٦٧ قال:

ما حدث بالنسبة لاتفاقية كامب ديفيد او اتفاق «غزة ـ أريحا» هو سياسة الصدمات الكهربائية التي ابتدعها الرئيس انور السادات. هذه السياسة تصدم الجماهير لأنها تنتقل من شيء الى شيء مضاد، في ظل دبلوماسية سرية تخفي كل شيء.

وهذه السرية تصدم الشعوب لأنها تقدم تحولا فجائياً له سلبياته الكبيرة. وهذه السرية لا تكون الا اذا كان هناك تنازل كبير عن المطالب الشعبية التي هيأ الاعلام الناس لها. وهذا ما حدث في عام ١٩٧٧ وتكرر في عام ١٩٩٣.

وأضاف فائق: اعتقد ان الاعلام لم ينجح في تغيير مسار الشعب بالنسبة لتوجهه لاسرائيل. فالتطبيع المصري الاسرائيلي الذي فرضته السياسة قاومه الشعب ولم يتم اطلاقا حتى هذه اللحظة.

وانعكاس اتفاق «غزة ـ أريحا» على المستوى العربي سيكون اكثر ضررا من كامب ديفيد لأن القضية الفلسطينية كانت احد الأشياء التي تجمع العرب فاذا غاب هذا العنصر سقط احدى دعائم الترابط العربي. ولا شك ان مشاعر الانسان العربي مرت بزلازل بدءا بكامب ديفيد فغزو العراق للكويت واتفاق «غزة ـ أريحا».

ويرى فائق ان الاعلام العربي فقد مصداقيته أمام الناس بتحولاته التي لا يستطيع تبريرها من النقيض الى النقيض. واكبر دليل على ذلك هرب المواطن العربي الى الاعلام الغربي ليعرف اخبار الوطن العربي بدون تزييف.

بين السادات ومبارك

الكاتب الصحافي حسين عبد الرازق رئيس تحرير مجلة «اليسار» قال: هناك عدة مراحل اعلامية. منها المرحلة التي ارتبطت بما عرف باسم «مبادرة السلام» وصولا الى اتفاقيات كامب ديفيد ووقوع الانقلاب الكامل في السياسة المصرية الرسمية واتجاهها بقوة ناحية التحالف مع اسرائيل والولايات المتحدة الامريكية. في هذه الفترة كانت الصحافة القومية باستثناءات نادرة. والاعلام الرسمي تنطق بما قررته الدولة. وبالتالي تقف ضد حركة التحرر الوطني الفلسطيني. مما أدى الى اختفاء بعض الاقلام بل والصدام بين السلطة والعديد من الكتاب والصحافيين الذين رفضوا هذه السياسة. ولعلنا مازلنا نذكر ان اكثر من ٦٠ صحفيا نقلوا من صحفهم الى وظائف حكومية وعطلت كل الصحف الحزبية حتى لا يكون هناك موقف آخر. باختصار كان هناك صوت واحد في الاعلام يتطابق مع سياسة الحكم في الصلح المنفرد مع اسرائيل.

ويضيف حسين عبد الرازق: عقب عودة الصحف الحزبية الى الصدور في مايو (ايار) ١٩٨٣ بدأت مرحلة اخرى بدا واضحا فيها ان هناك صوتين وموقفين في الاعلام المصري. صوت بعض الصحف الحزبية التي تبنت بقوة موقف المعارضة لسياسات الحكم وتأييد الكفاح الوطني الفلسطيني. بينما استمر الصوت القديم في الصحف المملوكة للدولة والمتعارف على تسميتها بالصحف القومية وان سمح لبعض الأقلام التي تختلف نسبيا مع الخط الرسمي بالتعبير عن نفسها.

ويؤكد حسين عبد الرازق: اننا لا بد أيضا ان نفرق بين عصرين، عصر السادات وعصر مبارك. ففي عصر السادات ظل الصوت الوطني المعادي لاسرائيل يتردد على

www.ethraadl.com
إثراء المعارف الرقمية

صفحات الجرائد بدرجة أو بأخرى، بينما اتخذت اجهزة الاعلام الاخرى (الاذاعة ـ التلفزيون) وهي الاكثر تأثيرا في ظل الأمية الابجدية الواسعة والأمية السياسية دورا سلبياً. فقد لعبت هذه الاجهزة دورا بالغ الخطورة في الترويج لاسرائيل وضد الثورة الفلسطينية.

وهناك فارق آخر بين مرحلة السادات ومرحلة مبارك. فخلال مرحلة السادات كان العداء للثورة الفلسطينية متواصلا دون انقطاع والترويج الاعلامي لاسرائيل والصهيونية عالي الصوت، وبدا ذلك واضحا في افتتاحيات الصحف ومقالات كبار كتاب هذه المرحلة مثل ابراهيم سعدة وأنيس منصور. وكان مضمون هذه المقالات يشتم الفلسطينيين ويتحدث عن التفوق اليهودي.

وقد خفت نغمة العداء للثورة الفلسطينية والترويج لاسرائيل وتراجعت في مرحلة الرئيس مبارك ولم تظهر حتى في الصحف القومية الا خلال فترات الصدام المباشر بين الحكم ومنظمة التحرير الفلسطينية، او عند الخلاف حول مطالبة الرئيس مبارك بوقف الانتفاضة ووصفها بانها أحداث عنف. ولم تشهد فترة مبارك ترويجا للتفوق الاسرائيلي بنفس الدرجة رغم ان السياسة المصرية الحالية تتجه بثبات الى تنفيذ اتفاقيات كامب ديفيد وتعريبها.

مغالطات اعلامية

كامل زهيري نقيب الصحافيين المصريين الاسبق قال: الاعلام المصري كان يسير على اكثر من موجة قبل معاهدة السلام المصرية الاسرائيلية والذي تغير في لهجة الاعلام المصري بعد توقيع اتفاقية كامب ديفيد اختفاء لهجة الاذاعة فلم تعد صيغة الخطب السياسية الرنانة سياسة مقبولة حتى في كلمات القادة السياسيين.

وأكد زهيري ان تحول الاعلام عن معاداة اسرائيل لم يكن له تأثير كبير على المواطن فلا يزال الشعب المصري والعربي لا يأمن اسرائيل ان يعقد معها معاهدة سلام ولكنه سلام محفوف بالمخاطر. بدليل ان الاسرائيليين غير مقبولين في الشارع المصري.

د. خليل صابات استاذ الصحافة في كلية الاعلام يرى اننا لا بد ان نفرق من البداية بين ما يعرف بالاعلام الرسمي والاعلام الشعبي. وقال: ان موقف الحكومة معروف بحكم المعاهدة التي وقع عليها السادات أما الموقف الشعبي فهو موقف اخر لا أرى انه اختلف كثيرا عما كان عليه قبل معاهدة كامب ديفيد وبالتالي لا استطيع ان اقول ان الشعب المصري غير موقفه. فهناك فارق كبير بين ان نوقع معاهدة وبين ان ننفذها.

واكد د. صابات ان الاعلام المصري لم يرسم صورة جميلة لاسرائيل.

والحقيقة ـ يقول د. صابات: ان الاعلام المصري من وجهة نظري لم يدفع المصريين نحو التطبيع بل أرى ان دوره في ذلك يكاد يكون غير مؤثر لانه في الحقيقة غير حاد في داخله ورافض لهذا التطبيع ولا نستطيع ان نرصد محاولة اعلامية جادة لتطبيع العلاقات بين مصر واسرائيل.

واذا كانت كلمة «العدو الاسرائيلي» قد حذفت من قاموس الاعلام المصري ـ بحكم المعاهدة ـ فهذا لا يعني ان هناك تطبيعا، لأن حذف هذه الكلمة لن يغير كل شيء، وينقل المصريين من مرحلة العداء الى مرحلة الصلح مع اسرائيل ■

تحقيق شارك فيه: عبدالكريم سمارة / القدس واشرف صادق / القاهرة ومكاتب «المجلة» في الرباط وعمان ولندن

www.ethraadl.com
إثراء المعارف الرقمية